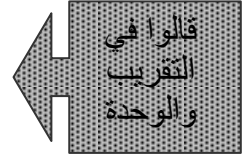


أ. يوسف حسن محمد يس  
مدير قسم التوثيق والتراث- كلية الإمام الهادي  
أم درمان -السودان

## الأساليب الفكرية والعملية لتحقيق التقريب بين المذاهب الإسلامية



في مقابل واقع التباعد بين جماعات المسلمين المتزايدة، تتوالى المحاولات والمساعي لتوحيدهم أو على الأقل تقريب شقة الخلاف وإيجاد مواضع الإتفاق ولأمر موجباته العديدة من النصوص المحكمة من ناحية النقل كما يوجبه العقل ويؤكداه الواقع وتدل على صحته التجارب.

**ما الذي يدلنا على حرص الإسلام على الوحدة؟**

الخطاب بصيغة الجمع / أيها المسلمون، أيها المؤمنون، أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة، كتب عليكم، وأذن في الناس بالحج يأتوك. الجماعة- الأسرة العشيرة- الجيران. الجمعة - أهل الديرة، البلدة. صلاتا العيدين أهل الديرة وجيرانها.

الحج فريضة اجتماع، اجتماع فرض ليس  
مستحبا وليس سنة بل فرض/ ركن- مهما اختلف  
المسلمون في الصيام أو الفطر منه ولكن لا  
سبيل ولم يحدث أن حاول بعضهم أن يقف على  
عرفة في غير اليوم الواحد الذي يقف فيه  
الجميع - الحج عرفة - زمانا ومكانا.  
موجبات الاتحاد الإسلامي ومعالم طريقه:

رب واحد، كتاب واحد، رسول واحد، قبلة  
واحدة وأركان وفرائض زكاة، وصوم وحج.  
\* في كتاب الله أمر صريح بالاتحاد ونهي واضح  
عن التفرق والاختلاف.

واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا  
واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف  
بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا.  
وفيه بيان مبين لعواقب التفرق في قوله  
تعالى (وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا  
فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا إن الله مع  
الصابرين).

نتيجة التنازع الفشل وذهاب الريح.

المطلوب الصبر، ومن معاني الصبر:

الصبر في المكاره، الصبر عن المحرمات.

الصبر على الأهل والأخوان - ومن باب أولى

إخوة الدين .

ذلك حرصا عليها.

## واقع الاختلاف:

الواقع البشري زاخر بحالات الإختلاف حتى داخل الأسرة الواحدة، بل إنّ للفرد الواحد حالات تختلف عن بعضها وآراء يتعصب أو يعارضها ثم يتراجع عنها، وقد يذهب إلى نقيضها. والقرآن الكريم فيه القول الفصل في ذلك: (ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم) وإذا كان على المسلم أن يدعو فمهمة الداعية تنتهي بالبلاغ المبين لقوله تعالى لرسوله الكريم: (ليس عليك هداهم)، وقوله جـلّ وعـلا: (ما على الرسول إلا البلاغ المبين)، ولا سبيل لإكراه أحد على إعتناق دين فالله تعالى يقول لرسوله: (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين)، وهناك القول بالحكم (لا إكراه في الدين). ومهما حرص الداعية على هداية من يدعوهم فالله تعالى يقول: (إنك لا تهدي من أحببت).

دروس وقوة من سيرة الرسول (ص):

في حياة الرسول (ص) مواقف وأحداث هي سنن وتشريع بإقراره لها أو بفعله منها:  
الصبر على أذى المشركين في مكة ورجاء إهدائهم أو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده

وإلا فلو دعا عليهم لما رد الله دعاءه - ولأطبق عليهم الأخشبين.

نموذج : التعايش مع أهل الكتاب في بلد واحدة - لهم مالنا وعليهم ما علينا - نحوها من دفاع وحرريات وحقوق دينية أو معاشية.

نموذج : الحرص على الصلح - لأنه خير - وقد كان مع المشركين فكيف به مع المسلمين المؤمنين وهم إخوة.

اقول ذلك لمن يجرؤون ويهرعون الى تكفير مخالفينهم.

أما معالم الاتحاد فبينها في السنة النبوية الشريفة قوله (ص): تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وسنتي، أو قال عترتي، ولن تخالف عترته سنته.

### مساعي العولمة وأثرها على الخصوصيات :

إذا كانت العولمة تعني هدم الجدران الفاصلة والهويات الخاصة ليخضع كل سكان كوكب الأرض لنظام سياسي واحد ونمط إقتصادي واحد وسلوك إجتماعي واحد وإذا كانت الدنيا الآن تعج حتى في البعد الواحد بالأديان والثقافات والعادات ووسائل الكسب وانماط

الإنفاق حتى بات من الوعي والعدل والإعتدال أن نعترف بأن هذا البلد أو ذاك متعدد الأديان والأعراف والثقافات، وإذا كان من حقائق الواقع التي لا سبيل إلى المغالطة فيها، أن وسائل الإنتاج متعددة ومتفاوتة وبالتالي تفاوتت وتتفاوت المنتجات في درجة الجودة وتباين أنواعها - إذا كان الأمر كذلك فالدولة معناها أن تسود هوية على غيرها وثقافة ودين وأسلوب حياة وعادة معينة ووسائل اقتصاد معينة في الكسب والإنفاق مما يعني أن تسود حضارة أو شعب من شعوب العالم على بقية الحضارات والشعوب إن بفعل القوة العسكرية أو التفوق الإقتصادي أو القدرة على الإنتشار والدعاية الإعلامية .

الناس إزاء ذلك ثلاثة :

١/ ساع إلى أن يكون القوة السائدة المهيمنة .

٢/ خاضع تابع بإعجاب وافتتان أو إستسلام .

٣/ معتد بنفسه مقاوم لمحاولة الإخضاع راغب قادر وعاجز ومحتار في أن يكون هو القوي الأعلى المتبوع لا التابع .

العولمة بذلك تذهب بآمال السلام والإستقرار وتعدنا بتفجير حروب بين الساعين للهيمنة والرافضين للخضوع.

### الصحة الدينية وحق التعبير عن الإلتزام الديني :

بعد حين من الدهر خَفَّتْ فيه صوت المتدينين، و علا صوت اللادينيين من دعاة الليبرالية والإلحاد وبعد أن وصل هؤلاء درجة التخمّة في الماديات حدثت حالة انتباه عامة الى أنه ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان، وليس بالمادة وحدها يسعد الإنسان فتحركت نوازع التدين لتلبي حاجة الروح وظهرت صحة دينية في كل العالم بصرف النظر عن سماوية الدين المعتقد فيه أو وضعيته، صحته أو بطلانه، هداه أو ضلاله، وأمسى طبيعيا أن يحاول كل أصحاب ملة التعبير عن التزامهم الديني، بتنظيم حياتهم وعلاقاتهم ومعاملاتهم على أساسه وتحديد مواقفهم من حين لآخر حسب رأيه فيهم وفي معتقدهم. هذا أدى الى تفجّر وتأزم في العلاقات وهدد الإستقرار ومزيد من الإضطراب إذا سار الأمر على نحو مسيرة كما في الهند بين المسلمين والهندوس.

الموقف الصحيح أن يعترف كل لغيره بحقه

في أن يعتقد فيما يعتقد فيه، على قاعدة (لا إكراه في الدين) وأن يسعى كل لإقناع الآخر، ولكن على أساس قاعدة (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) فإن لم تحصل الإستجابة يبحث المتخالفان إلى نقاط الإلتقاء على أساس (تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم) ليتعاونوا (على البر والتقوى) ويعذر بعضهما بعضا فيما اختلفا عليه بحكمة (قولي صواب يحتمل الخطأ وقول غيري خطأ يحتمل الصواب) فإن لم يكن ذلك ممكنا فآخر اسلم الخيارات هو (لكم دينكم ولي دين)، أما خيار الإكراه فهو إختيار لدرب التفاني والإستئصال الذي لا يسنده نص قطعي ولا دليل عقلي، بل كذبه الماضي كما يكذبه الواقع الحاضر.

مفترحات فكرية :

تعميق المنهج الوسطي :

العقل والنقل يتفقان على ترجيح التوسط على الغلو والتطرف والتجارب البشرية تؤكد ذلك.. فما من تطرف كانت عاقبته الخسران والندامة بينما التوسط أقل نتائجه السلامة. هذه الأمة ممدوحة ومميزة على الأمم بأنها أمة وسط وقد جاء ذلك في قوله تعالى: ﴿

وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى  
النَّاسِ.

الجماعات التي تطرفت في الماضي أصبحت  
خبرا وابتلعها التاريخ رغم أن أصحابها  
كانوا يرونها الحق المحض وما سواها الباطل  
البيّن، وجماعات التطرف المعاصرة تفتأ  
تتراجع أفرادا وجماعات وتثوب الى رشد  
وتعود بعد الإنذفاع الى الهدوء وبعد  
المنازلة الى المهادنة وبعد الإنكار الى  
الإعتراف وبعد الحرب الى السلم.

\* مراعاة مقاصد الشريعة القطعية وخصائص

الإسلام العامة :

جاء الإسلام رحمة مهداة من خالق الخلق  
ليخرج الناس من الظلمات الى النور ومن  
شقاء الدارين الى سعادة الدارين وهكذا  
كافة الناس بل وللثقلين ولكن بعض يضيق  
الواسع فيقف عند المظهر ولا يبحث عن الجوهر  
فيكتفي بظاهر معاني الكلمات والعبارات  
والذصوص ولا يجهد ذهنه أو يعمل عقله في  
التأمل والتدبر. حتى القرآن يقرؤه مرورا  
على الألفاظ دون الوقوف على مقاصده مع أن  
من بين ما يقرؤه ذم صريح لمثل طريقته في  
التعامل مع النص القرآني وقد جاء ذلك  
صريحا في قوله تعالى : (أفلا يتدبرون



القرآن أم على قلوب أقالها).

يحدث هذا في العبادات والمعاملات والسلوك كما يحدث في ما يتعلق بشؤون الجماعة والدولة وعلاقات بعض المتهذهين مع الآخر المذهبي ويحدث الشيء نفسه مع الكبار والمنسوبين الى العلماء في الموقف من الآخر المذهبي والآخر الممللي والآخر الدولي. يقف منه موقف الرفض للتعامل معه، المصنف في خانة العداة، لا ينتبه الى أنه بذلك إنما يقفل طريق التواصل فيحرم بذلك نفسه ويمنعها من سماع الآخر حجته بل من إسماعه كلام الله. وبذلك لا يمثل للأمر الإلهي القائل : ﴿ اذْعُ إِلَى سَيْلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾.

\* مطلوب من العلماء والمفكرين الإنتباه والتنبيه الى مقاصد الشرع القطعية. تلك المقصودة بالنصوص والأحكام فيعرفوا العامة بأن من مقاصد الشريعة:

١- أن يحذو حذو الرسل في الصبر على من لم يصدق والإصرار على هدايته بتحمل أذاه وتقديم النموذج الأمثل وبالحكمة واللين يحاوره ويحاول اقناعه مسترشدا في ذلك بسير الأنبياء من لدن نوح الى خاتمهم محمد عليهم

جميعا صلوات الله وسلامه .

٢- المقصود من كل عبادة هو حكمها وفوائدها وثمارها وليس فقط ظاهرها سواء كان فعلا كما الصلاة والحج والزكاة والأضحية أو امتنانا كما في الصيام.. وقد جاء التنبيه الى ذلك في قوله تعالى : ( لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى.... )

إن المسلمين كلهم وخاصة الدعاة منهم مطلوب منهم أن يأخذوا في الإعتبار خصائص الشريعة الإسلامية حتى يعاملوا مع بعضهم ومع من يدعونهم اليها على أساسها ومن ذلك :  
١/ شمولها لكل مناحي الحياة ليشمل الأفراد والجماعات بل لغيرهم من المخلوقات، جمادات كانت أو حيوانات.

٢/ تدرجها من الأول الى الثاني والأهم الى الذي يليه، من الذروة الى ما بعدها، على نحو توصية النبي (ص) لمبعوثيه الى القبائل.

٣- التيسير والتحقيق وليس التعسير والإثقال فالرسول (ص) يقول (بشروا ولا تنفروا، يسروا ولا تعسروا) وفي القرآن الكريم : (يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم

العسر) و (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها).  
٤- التدرج.

الى غير ذلك من الخصائص التي على الدعاة أخذها في الإعتبار.

#### التوصيات:

انطلاقا من مشروعية وضرورة وموجبات وحدة الأمة المسلمة وعلى طريق دعم أسباب قوتها وزيادة ترابطها نوصي بما يلي :

١- أن يعمل جميع الأئمة والدعاة والمفكرين والكتّاب منهم والمدرسين وكل من لديه اثاره من العلم و قدرة على الدعوة والتبليغ، يعملون على بيان أن :-

١/ كل مسلم يجب عليه الإلتزام بمقتضى كل نص صريح الدلالة من القرآن الكريم وكل نص صريح صحيح الورد عن رسول الله (ص).

٢/ من ديننا ومن عوامل تما سكتنا كأمة وتواصلنا مع الآخريين أن نعطي قيم الحوار والتسامح من غير تنابز ولا تشهير ولا عصبية مع الإلتزام بهدي الكتاب والسنة واستحضار إجتهدات السلف الصالح.

٣/ مشروعية الإجتهد في الإسلام تمثل سعة تحتل الإختلاف والتنوع.

٤ / حمل آراء الآخرين على المحمل الحسن سواء في أمر الدين أو شؤون الحياة بإعتبار ذلك طريقة شرعية على نهج المصطفى (ص)، بقدر ما يكون التأويل سائغا وله وجه لغوي أو شرعي.

٥ / من الحكمة العمل بمبدأ خير الخيرين وأخف الضررين كضرورة واقعة.

٦ / من اللازم الإنتباه الى أن المتربصين بالأمة لا يفرقون بين جماعات الأمة وفرقها إلا بغرض الفتنة أو من قبيل أخذ الجميع بترتيب في الأسبقية يقدرونه حسب تقديرهم.

٧ / الحكمة تقتضي التنسيق والتعاون على ما اتفق على أنه بر وإنكار ما اتفق على أنه مذكر وترجمة ذلك في مشاريع مشتركة إعمالا لمبدأ التعاون على البر والتقوى وإداء لواجب التناصح وعملا بحكمة الصبر والمصابرة والإعذار التزاما بأدب الإختلاف.

٨ / الإنتقال من القول الى العمل؛ يعني تكوين مجلس تنسيقي مشترك يجمع كافة الوان الطيف المذهبي والفكري. يعمل على تنفيذ ما يتفق عليه بتحويله الى خطط وبرامج مشتركة، وفي ذات الوقت يضع آلية لمعالجة نقاط الإختلاف وفض النزاعات التي قد تقع بين بعض

المسلمين.

٩/ الجميع جماعات ودعوة يلزمهم ويفيدهم دعم و وسائل تحقيق الأمن والسلام والتعاون والتعايش السلمي بين الجماعات والشعوب في كل أرجاء المعمورة.

١٠/ من مصلحة أهل الأرض ومما يعينهم على عمارتها أن يواصل الجميع حوار الحضارات ويعملوا على تكاملها فيما إتفقت على أنه يخدم مصالح الإنسانية.

١١/ توفر الوسائط الإعلامية التقليدية والحديثة وتنوعها فرصة يجب أن يستخدمها المسلمون في نشر ثقافة التوسط والإعتدال والدعوة والتي هي أحسن.

١٢/ يتبنى الدعوة إلى الموقف المستنير الوسط المعتدل ويجند أعضائه على الريادة والقيادة الفكرية لتنوير الشعوب ونصيحة الحكام وتحقيق التطلعات وصون الحقوق والدعوة لأسباب السلام والإستقرار والكرامة الإنسانية أو الحفاظ عليها والدفاع عنها بسلح الكلمة وقوة الحجة وإيضاح الدليل دون خوف من فتك موقفه ووضوح بيانه وانحيازه للحقيقة دون علة مرض أو دافع غرض.